

ملامح الثورة الجزائرية في الشعر المغاربي

- صور ونماذج -

Features of the Algerian revolution in Maghreb poetry - pictures and models -

أ. مختارية بن عابد

جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم (الجزائر)

benabed.mokhtaria@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2019/04/01

تاريخ القبول: 2019/03/15

تاريخ الإرسال: 2018/12/14

الملخص:

لقد هزت الثورة الجزائرية وجدان الشعراء العرب منذ تفجيرها في أول نوفمبر 1954، واستمر ذلك إلى زمن ما بعد الاستقلال، ولا نبالغ إذا قلنا إن الشعر بكل أشكاله المختلفة في كل قطر عربي، مشرق ومغرب، من المحيط إلى الخليج قد حفل بمآثر هذه الثورة المباركة وكفاح شعبها الأبي؛ لأنها كانت تمثل فخرا للعرب وللمسلمين كافة. فقد تضامن الإخوة العرب مع الشعب الجزائري، وكان الأصدقاء من المغرب العربي في المقدمة لمواساته في محنته، فمع انطلاق الثورة في كل بقعة من القطر الجزائري، انطلقت معها أفلام الأدباء والشعراء الجزائريين والمغاربة مؤازرة لها بروائع من قرائحهم الأدبية.

فثورة الجزائر كانت في طليعة الموضوعات الهامة التي شغلت الشعراء في المغرب العربي، حيث ألهمت المئات منهم ليعبروا بأفلامهم عنها وعن لهيبها؛ إذ كانت عظمتها محرّكا من محرّكات الإبداع عندهم، ومصدرا مهما من مصادر الإلهام لديهم، فأتخذت مادة إبداعية يتفنّن في تشكيلها الشعراء المغاربة، والشواهد التي سيتم إيرادها أقل ما يكون خير دليل على ما ذكرنا.

كلمات مفتاحية: الشعر المغاربي؛ الثورة الجزائرية؛ مضامين؛ الوحدة؛ إلهام.

Abstract:

The Algerian revolution has rocked the Arab poets feelings since its bombing on 1 November 1954, This continued until after independence, We do not exaggerate if we say that poetry in all its different forms in every Arab country, Influenced by the exploits of this blessed revolution and the struggle of its people, The solidarity of the Arab brothers with the Algerian people, The Maghreb countries came in the forefront of solidarity, With the start of the revolution, the pens of Algerian and Moroccan writers and poets were launched and Supporting them with their best literary writings.

The Algerian revolution was at the forefront of the issues that preoccupied poets in the Maghreb, Inspired hundreds of them to express their ideas about this revolution, Her greatness was an engine of inspiration and creativity for the poets, The evidence we will give is the best proof of what we have said.

Key words: Maghreb poetry ; Algerian revolution ; contents ; unity ; inspiration.

توطئة:

مما لا شك فيه أن الشعر بوصفه تعبيراً وجدانياً يتفاعل مع الأحداث المختلفة التي يصنعها الإنسان أو التي تُفرض عليه، فيعبر عنها ويجسدها، ويعكس ما فيها من سلبيات وإيجابيات؛ وهو بما يتميز به من سحر

البيان وانسجام النظم، وسعة المضامين يعدّ أهمّ وسيلة تعبيرية لتخليد الآثار وتصوير المواقف، ما يجعله أكثر تأثيراً في النفوس، وناشراً للوعي في العقول، ومتداولاً على الألسنة جيلاً بعد جيل، وما يزيده قوة ومكانة كبيرتين، اقتترانه بالأحداث العظمى كالثورة الجزائرية المجيدة التي سَطَّرت وقائعها بأحرف من ذهب في سجلات التاريخ الخالدة.

لقد هزت الثورة الجزائرية وجدان كل شاعر حامل ذرة من الإنسانية، منذ تفجيرها في أوّل نوفمبر 1954، واستمر ذلك إلى زمن ما بعد الاستقلال، ولا نبالغ إذا قلنا إن الشعر بكل أشكاله المختلفة في كل قطر عربي، مشرقٍ ومغربٍ، من المحيط إلى الخليج قد حفل بمآثر هذه الثورة المباركة وكفاح شعبها الأبّي؛ لأنها كانت تمثل فخراً للعرب وللمسلمين كافة، وقد عبّر عن ذلك شاعر الثورة الجزائرية حين اعترف بمؤازرة بلاد العرب قاطبة للمقاومة الجزائرية، فقال في قصيدته (اقرأ كتابك):

نسبٌ، بدنيا العُرب زكّي غرسه ** أَلَمْ فأورق دوحه وتفرّعا
سببٌ، بأوتار القلوب عروقه ** إن رنّ هذا رنّ ذاك ورجّعا!
إما تهّد بالجزائر موجع ** آسى الشام جراحه، وتوجّعا!
واهترّ في أرض الكِنانة خافقٌ ** وأقضى في أرض العراق المضجعا!
وارتجّ في الخضراء، شعبٌ ماجدٌ ** لم تُثبّنه أرزاؤه أن يفزعا
وهوت مُراكش حوله وتألّمت لب ** نان، واستعدّ جديس وتبّعا
تلك العروبة.. إن تُثّر أعصابها ** وهن الزمانُ حياؤها، وتضعضعا!
الضاد، في الأجيال، خلد مجدها ** والجرح، وحّد في هواها المنزعا
فتماسكتُ بالشرق جمهورية ** عربية، وجدت بمصر المرتعا⁽¹⁾.

نعم، تضامن الإخوة العرب مع شعب أُراد حرّيته، وكان الأشقاء من المغرب العربي في المقدمة لمواساته في محنته، فمع انطلاق الثورة في كل بقعة من القطر الجزائري، انطلقت معها أقلام الأدباء والشعراء الجزائريين والمغاربية مؤازرة لها بروائع من قرائحهم الأدبية، وحين كانت نار الثورة تزداد اشتعالاً، كانت الأقلام الأدبية تسيل في كل مكان من المغرب العربي مواكبة لأحداثها ومصوّرة لنيرائها ومعاركها الطاحنة، ومبرزة لسمياتها وأبعادها المختلفة، وممجة لأبطالها الذين ضحّوا بالغالي والنفيس.

1- الثورة الجزائرية ووحدة المغرب العربي:

تعد الثورة الجزائرية واحدة من بين أكبر أربع ثورات في العالم الحديث، وقد تكون أكبر ثورة عرفها العالم العربي والإسلامي والإفريقي أيضاً لما قدمته من تضحيات جسام ولطبيعة العدو الذي تحالف معه المحيط الأطلسي بصفته، رغم ذلك انتصر شعب أعزل آمن بقضيته إيماناً لا شائبة فيه يتمثل في تحرير الوطن مهما تطلب الأمر⁽²⁾.

وعند اندلاع هذه الثورة التحريرية في الجزائر عام 1954، ظهر بيان أول نوفمبر الذي كان يؤكد على ضرورة الاستمرار في الكفاح في إطار مغربي عام.

فبلدان المغرب العربي تتميز بتقاربها الكبير على مختلف الأصعدة، وفي الكثير من مظاهر الحياة، وهي تقوم على مبادئ العروبة والإسلام، الأمر الذي أدى إلى بروز قومية مغربية قوية، كما زادت من تقوية الروابط بينها وتعزيزها خصوصيات تمثلت في « وحدة الأرض والتراب والمناخ ووحدة التقاليد »⁽³⁾.

ولعلّ التمسكّ بوحدة المغرب العربي الذي كان أحد أبعاد الثورة الجزائرية هو الذي دفع بالشعراء المغاربة إلى تبني هذه الفكرة وتوظيفها في إبداعاتهم الشعرية، وذلك إسهاما منهم في ترسيخ الفكرة وتأكيدا في النفوس، المتشوقة لرؤية فجر الحرية وانقضاء ليل الاستعمار الطويل الدامس.

ومن الشواهد التي تظهر تجذّر فكرة توحد المغرب العربي نذكر، على سبيل المثال لا الحصر، أبرز ما يمكن أن يستدلّ به وهو قول الشاعر الكبير "مفدي زكريا":

كَفَر الألى قالوا (الشمال ثلاثة) ** ودعوا إلى إذلاله بالنار

نصبوا العصى على الحدود سفاهة ** وسعوا إلى توزيعه لضرار
والمغرب العربي، شعب واحد ** ملء العروق، دم العروبة جاري⁽⁴⁾.

وقوله في قصيدته (نار ونور):

للشرق لا للغرب، ولّى وجهه ** فغدا له سندا لخوض غمار...

لا شيء، إلا وحدة عربية ** جبارة، في المغرب الجبار⁽⁵⁾!

كما نجد الشاعر المغربي "أحمد عبد السلام البقالي" يؤكّد على ضرورة لَمّ الشمل المغربي، فيقول:

أنا بربري أنا عربي ** وأندلسي أنا مغربي

شمال إفريقيا اشتعل والتهب ** واحرق بنارك جنح الظلام

أتونس لا تسأمي وأسلمي ** فيومك لا بد أت

ويا جارنا في الجزائر ما ** رقادك والليل قد أدبرا؟

ويا شعب مراکش المستميت ** حمدا لله، لأسادك الثائرين⁽⁶⁾.

وكذلك الشاعر المغربي "محمد الطنجاي" ينادي بنفس التوجّه، قائلا:

وحدة صرحها قوي قاهر ** شهد الله أننا قد أردنا

وحدة المصير في كلّ شيء ** مثلما كان في القديم الغابر

وحدة في الشمال تبني لنا المجد ** ونبني بها السلام العائر

وحدة نعتلي بها قمم الجبال ** فيرتد عن حمانا الجائر⁽⁷⁾.

وهناك، نلمح الشاعر الليبي "أحمد الفقيه حسن" يشدّد على الأمر ذاته في قصيدة نظمها بمناسبة إحياء

الذكرى السابعة للثورة الجزائرية، حيث قال فيها:

إن الجزائر أرضها عربية** ورجالها عرب مدى الأعصار
 فرع العروبة لا تزال تلفه** تلك الوشائج من بني النجار
 اليوم تتصل العروبة كلها** في وحدة من سائر الأقطار⁽⁸⁾.

ويقول أيضا في موضع آخر:

فمن المحيط إلى الخليج أواصر** للعرب ثابتة بلا إنكار
 نادى بها العرب الكرام فوحدوا** كل الصفوف لحادث أو طار.

في النصوص السابقة نلمس رغبة الوحدة المتأصلة في نفوس شعراء مغربنا، وقد زادت قوة هذه الرغبة بعد اندلاع الثورة الجزائرية، حيث ألهمت هذه الثورة النفوس المترددة، وأعدت الأمل المفقود للمغاربة، فقد « كان أهل المغرب العربي – ولا يزالون – يحلمون بالوحدة، وكانت فترة المقاومة الجزائرية من أفضل المناسبات التي ساعدت على إبراز هذا المطلب أكثر من أي وقت مضى، وبالخصوص في فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين، حيث حمي وطيس المقاومة، وهذا ما أعطى نفسا جديدا للمطالبيين بالوحدة المغربية، ونبد التقسيم المقيت الذي فرضه الاستعمار على دول عربية إسلامية متحدة أصلا»⁽⁹⁾.

وفي هذا التوجّه يقول الشاعر التونسي "محمد المرزوقي" في قصيدته (المغرب الكبير) بكل حماس وانفعال:

الله أكبر في صعيد واحد** هذا شباب المغرب المتساند
 قد أيقظته من الزمان حوادث** فسعى إلى تهديم كل متباعد
 وإلى إعادة وحدة ميمونة** نبيها صرحا لمجد تالد⁽¹⁰⁾.

وما لا يخفى على أحد أن ثورة أول نوفمبر ما كانت إلا تنويجا للروح الوطنية المتأججة في نفوس الشعب الجزائري، فقد ساهم التعلق المذهل لهذا الشعب بوطنه وأرضه في شحذ الهمم وتعزيز الرغبة في بناء وطن مغربي موحد رافض لكل أشكال العدوان الاستعماري الجائر، وهذا ما ترجمه الشعراء المغاربة في أشعارهم لتجسيد إحساسهم القوي بالوطنية، وبانتمائهم إلى أرض البطولات، أرض الأمجاد، وأرض التاريخ المجيد المليء بأسى آيات الكفاح والتضحيات الخالدة.

فهذا الشاعر الجزائري "أبو الحسن علي بن صالح" يصرخ في وجه فرنسا الاستعمارية غداة اندلاع الثورة

التحريرية قائلا:

فرنسا اعلمي أن الجزائر أمة** بأمجادها بين الشعوب تفاخر
 لقد نشرت في الغابرين حضارة** وهذا فم التاريخ ممتن وشاكر⁽¹¹⁾.

كما نجد "مفدي زكريا" يلمح إلى ما ترمي إليه الثورة من جمع الشمل وتوحيد الصفوف المشتتة، فيقول:

نَحْنُ فِي الْجَزَائِرِ إِخْوًا** نُنْجِرُ حَاتِنَاتِنَا الثَّخِينَةَ حَمْرًا
 لُحْمَةُ الضَّادِ وَالْعُرُوبَةُ وَالتَّاءُ** رِيحِ وَالِدَيْنِ: أَي رَيْكَ كُبْرَى⁽¹²⁾.

2- الثورة الجزائرية أحد مضامين شعر المغرب العربي:

إن ثورة الجزائر كانت في طليعة الموضوعات الهامة التي شغلت الشعراء في المغرب العربي، فقد ألهمت المئات منهم ليعبروا بأقلامهم عنها وعن لهييها، وتوجد قرائحهم بأروع الأشعار المخدلة للآلام وللبطولات وللنييران المستعرة في أرض الجزائر، والتي سلطها المستعمر الغاشم على هذا الشعب الأبي، فنفض عنه غبار السنين الطوال، ونهض نهوض رجل واحد عملاق متحديا الذبابات والرشاشات والقنابل، ومحوًا كفة التاريخ لصالحه، فاتجهت نحوه عواطف المغاربة والعرب كلهم مواكبين أحداثه، صانعين من شعر شعرائهم ملحمة شعرية غناها الدهر بعد أن لحنتمها القلوب.

فعظمة الثورة الجزائرية كانت محرّكا من محرّكات الإبداع عندهم، ومصدرا مهما من مصادر الإلهام لديهم، ويقدر ما تشرفت ثورتنا المجيدة بجهود الشعراء، فقد تشرفوا هم كذلك بها، وهذه هي النتيجة الطبيعية لتلاحم الشعر مع الأحداث الجليلة.

وها هو الشعر المغربي « يقف شاهدا حيا على مواقف وبطولات الشعب الجزائري؛ إذ صارت الثورة التحريرية مادة إبداعية يتفنن في تشكيلها الأدباء والشعراء العرب من المحيط إلى الخليج، يمتزج فيها البعد القومي بالبعد الإنساني والنضالي، تضامنا مع الشعب الجزائري الأعزل الذي استفردت به فرنسا ومن ورائها الحلف الأطلسي، حيث راح يتضاعف عدد جيوشها إلى ثلاثة أضعاف بعد اندلاع الثورة، وبتجهيزات متطورة لأجل إخماد الثورة وإفشال إرادة شعبيها، ولكن هيهات، انتصر الجزائريون بفضل الوحدة والإيمان بالنصر، وجاء الاستقلال بعد مفاوضات إيفيان الشاقة (1960-1962م) التي توجت في الأخير باستقلال الجزائر»⁽¹³⁾.

حقا، كانت وقفة الشعر المغربي « وهو يصدر أحداث الثورة الجزائرية من هذا الميلاد وقفة النخوة والاعتزاز، حيث أصبح اسم الجزائر وكل ما يرمز إليها من جبال وسهول ووديان ونحوها، عنوانا يتغنى به، وهذا التغني قد ظل يستند إلى ملامح الطبيعة المختلفة، ولا سيما الصامته منها، علاوة على التغني بالإنسان الجزائري الثائر بالمقومات الأساسية الوطنية، كالدين واللغة، والتاريخ والوحدة الوطنية والمغربية وعروبة الجزائر والعروبة في وطنها الأكبر»⁽¹⁴⁾.

إن الشعر الذي تناول الثورة في الجزائر أو في المغرب العربي كثير لا تحصى قصائده، فقد تعددت أفكاره من اعتزاز بالروح الوطنية، والقومية المغربية، بل العربية الإسلامية، وتمجيد لأبطال الجزائر وشهداءها، ورفض لأساليب المحتل الغاصب، وحث للشعب الثائر على الصمود والمواجهة، وذم لجرائم الاستعمار ضد الإنسانية وغيرها، وتصوير لأجيج الثورة ومعاركها... وغير ذلك مما اتخذ الشعراء المغاربة مضامين ومواضيع لإبداعاتهم الشعرية، وما سنورده من نماذج عن ذلك لا يعدّ إلا الشيء القليل مما قيل.

3- صور شعرية مغاربية للثورة الجزائرية:

تهافت الكثير من شعراء جزائريين ومغاربة يرسمون أجمل اللوحات في قصائد مجّدت الثورة الجزائرية وقدّستها، من أشعارهم نذكر ما يلي:

أ. الشعر الجزائري: من الأقلام الشعرية التي تناولت الثورة الجزائرية بالإشادة والتمجيد بروح وطنية معتزة ببلدها الجزائر، يبرز في الطليعة شاعر هذه الثورة "مفدي زكريا"، الذي سجّر قلمه لها، حيث يقول في أبيات يصف الثورة التي اشتعلت وأتت على العدو كالسيل الجارف، فلم توقفها فيالق العدو، ولا فرقها، إنّما سار الجيش نحو النصر المبين بمعونة الملائكة:

نادى المنادي إلى التّحرير يدفعها ** فاستصرخت من قيود الحجر تنعتق
ثارت على الظلم مثل السيل جارفة ** فلا الفيالق تثنيها ولا الفرق
جيش إلى النصر تحدوه ملائكة ** مسؤمون بموج الموت يندفق⁽¹⁵⁾.

وكذلك الشاعر "محمد العيد آل خليفة" الذي يمثّل «رجل الأمة الذي يحمل أثقال الوطن...، وشعره تاريخ وطني عربيّ وجزائريّ، فشعره لوحة الجهاد الوطنيّ ضدّ الاستعمار عبر خمسين عاما»⁽¹⁶⁾، وهو في هذه الأبيات يخاطب المحتلّ الفرنسي بأن لاحق له في أرض شعبٍ بذل النفس والنفيس في استرجاعها، فليس عدلاً أن يسلبه حقه ليستريح ويشقى هو، وأن يخلد المحتلّ ويُبديد تحت ظلمه هذا الشعب، ولكن هذه الأرض هي لأفذاذ سيبقون أحراراً رغم الطغاة الغزاة، وإن استهين بقوتهم واعتبروا عبيدا، حيث يقول:

ليس حقاً أن تحرمي الشعب حقاً ** لقي النار دونه والحديدا
ليس حقاً أن تستريحي ويشقى ** ليس حقاً أن تسكني ويميدا
ليس حقاً أن تستجدي وبيلي ** ليس حقاً أن تخلدي وببيدا
يا فرنسا ردي الحقوق إلينا ** وأقلي الأذى وكفي الوعيداً
نحن رغم الطغاة في الأرض أحراراً ** وإن خالنا الطغاة عبيدا⁽¹⁷⁾.

كما يعبّر الشاعر "أبو القاسم خمار" عن انفجار الثورة كالسيل بين الخيام لإيقاظ النيام من غفلتهم، وتمسح عن قارتنا الإفريقية غبار السنين، وظلم البشر، قائلاً:

جزائر.... جزائر

توثّب شعب

تحرك كالسيل بين الخيام

يهزّ النيام ... يدكّ السحب ...

يمرّ بكفين ناعمين

على قسّمات القمر

فيسمح عنها غبار السنين

وظلم البشر

على أرض أفريقيا⁽¹⁸⁾.

ويعتبر "مالك حداد" الثورة الجزائرية لحظة مقدسة، تهب له حياته، ويركز على الجزائر باعتبارها داره وقراره، حيث يقول ترجمة عن اللغة الفرنسية:

... إني لأعشق تلك اللحظة التي تهيني الحياة
سأسمي تلك اللحظة
أصغوا إذن!
سدّوا أذانكم جيّدا
وافتحوا قلوبكم على مصراعها
سأسميها؟ رفاقي الذين سأعانقهم عن قريب
سأسميها؟ داري حيث تنتظريني أمي بصبر نافذ
سأسميها؟ رفيقة القيثارات المحطّمة
سأسميها الجزائر...⁽¹⁹⁾.

وها هو الشاعر "محمد الأخضر السائحي" يتكلّم على لسان نائر لا يعبأ بالموت ولا يرهبها، لأنه اختار درب النضال في سبيل وطنه الحبيب الذي إن مات من أجله، فأبناؤه سينعمون بعده بحياة ملؤها العزة والكرامة⁽²⁰⁾، فيقول:

أنا حرّ وهذه الأرض أرضي ** سوف أفدي حياتها بحياتي
سوف أبني أمجادها وأروي ** بدمائي مروجها النضرات
فتدقق يا أيّها الدم حرا ** واجرّ في هذه الذرى الشامخات
أنا إن متّ هاهنا اليوم فابني ** سوف يبقى وسوف تبقى بناتي⁽²¹⁾.

وللشاعر "صالح خرفي" قصيدة (الجزائر ومولد الرسول) التي يؤكّد فيها أنّ ثوار الجزائر ما هم إلا امتداد طبيعي لمجاهدي الأمة الإسلامية، ثاروا من أجل إحياء الإسلام وإعادة أيامه الحافلة بالأمجاد والبطولات، حتى تخالهم عين الناظر إليهم أنّهم جزء لا يتجزأ من مجاهدي أحد وبدر، حيث يقول في أبيات منها:

ففي أرض الجزائر خير جند ** يقيم لغابر الإسلام ذكرى
كأنك فيهم (بعلي) ينادي ** لقد وعد الإله الخلق نصرا
فهبّوا لاقتحام التّار وابنوا ** على جثث الفدا للمجد جسرا
وسيف الله يذكها فيمضي ** كأسرع من وميض البرق سرى
فليت العين منك رنت إليهم ** إذا لتذكّرت "أحدا وبدر"⁽²²⁾.

ويأتي الشاعر الجزائري "أبو القاسم سعد الله" يصف ثورة الجزائر التي كانت خامدة لسنين طويلة في قارة سمراء ركنت إلى الغريان والجرذان لتفسدها، حتّى كادت الحياة أن تنعدم فيها، بالرغم من أنّها كانت جنة ساحرة في الأرض، لولا أن هبّت فيها رياح الثورة على حين غرة من الأوراس؛ حيث يقول في هذا المعنى:

أفريقيا
 بأرضنا الحنون
 يا توت، يا تفاح، يا زيتون
 يا جنة نام بها رضوان
 واستسلمت في حضنها القرون
 فرتعت في دوحها الجرذان
 وحلقت في أفقها الغربان
 بدون صاد ... ولا نسور
 كم سار آدم فيك بلا كساء
 وكم بكت حمائم سمراء
 وكادت الحياة أن تغور
 ولولا رياح ثائرة
 لولا دماء فائره
 ساحت من الأوراس مثل السيل
 وفتحت أمامنا السبيل⁽²³⁾.

ب. الشعر المغربي:

من شعراء المغرب الشقيق الذين ساندوا الثورة الجزائرية، واتخذوها مادة لإبداعاتهم الشعرية، نذكر:
 الشاعر "محمد علي الهواري" الذي أشاد بالتضحيات الجسيمة التي قدمها الشعب الجزائري الثائر، مُنوها
 بصموده وثباته وتحديه لأعدائه رغم ما لقيه من محن وويلات؛ فيقول:
 باسم المجازر في العرائش، في العراق وفي القسنطينة
 باسم النضال نضالنا من أجل ثورتنا الثمينة
 والجرح يجمعنا وكره القيد والدم والمصير
 والبؤس والحرمان والتشريد والصنم الأجير
 والذل والجلاد والإعصار واليوم الكبير
 باسم الدم المسفوح في الوطن الأسير
 باسم الضحايا من أجل ثورتنا الحبيبة
 باسم الثوار وشعبنا العربي في أرض الجزائر
 بالاسم اسمك يا جزائر أنشد
 هل تقبلين مني النشيد؟⁽²⁴⁾.

وكذلك الشاعر "أحمد صبري" الذي عبّر عن إعجابه بصمود الثوار وتحديهم لأعدائهم، وذلك على لسان أحد ثوار الجزائر هو "أبو كبور"⁽²⁵⁾، الذي كان زميلا له في الدراسة ومات شهيداً في سبيل الجزائر التي ظل يهتف باسمها، عاشقاً لها، إلى درجة أنه وشم على صدره صورة لقلب كتب عليها اسم وطنه "الجزائر"⁽²⁶⁾؛ إذ يقول:

تقلدُ البندقيه

ووشمتُ على صدري

في الجهة اليسرى : قلبا

كتبت فيه : الجزائر

آه الجزائر

وتدحرجت على قمم الأوراس

نسرا كمليون نسرا

وجريت في هضاب عنابة ومغنية⁽²⁷⁾.

ج. الشعر التونسي:

ممن تعاطف مع الشعب الجزائري في محنته أيضا إخواننا التونسيون، الذين لم تبخل أقلام شعرائهم بمنح الثورة إكراما وتعظيما، فهذا الشاعر التونسي "محي الدين العلامي" يضيف قداسة على الثورة الجزائرية، ويشبهها بفتح من فتوحات المسلمين؛ إذ يقول في قصيدة له بعنوان "ثوار الفتح":

قد عاد مجدنا وعادت الفتوح

واستبشرت الدنيا والفجر يلوح

ثوار تحدوا قمم الجبال والسفوح

وملؤوا القلب سرورا به نبوح⁽²⁸⁾.

كما يعتبر الشاعر التونسي "عبد الله الزناد" دفاع المجاهدين عن أرض الجزائر دفاعا عن الإسلام

والمسلمين، فيقول:

شعب الجزائر نادى

بواضح الصوت يجهر

أريد فك قيودي

من غاضب تنكر

وقام للثأر شعب

بجبهة يتحرر

رأى البلاد تقاسي

فهب فوراً شمّر

رأى العروبة تشكو

ظلما فقام يزمجر
 للدين أمسى غضوبا
 فجزد السيف يشهر
 لله يسعى ويدعو
 للحق بات يقرر⁽²⁹⁾ .

وهذا الشاعر "أحمد اللغماني" يتحدث عن الثورة الجزائرية ضمن حديثه عن انتفاضة المغرب العربي وإفريقيا، فيقسم بالأطلس الكبير، وبكل ما يرمز إليه، وبالجهاد، وبالثلوث المغاربي، وبأرواح الشهداء، وبأهات ودموع الثكالي واليتامى، بأن الجميع سيعلمونها ثورة، وسيشعلونها نارا في ربوع إفريقيا، تأتي على الأخضر واليابس⁽³⁰⁾، فهو يقول:
 بأطلسك الشهم إفريقيا
 وتربتك البرة الخيرية
 بأفاقك النيرة
 بحق الجهاد ومجد القتال
 حلفنا بتونس أرض الفداء
 ومراكش الحرة الشامخة
 بمجد الجزائر ذات الشمم
 بأرواح أبنائها الشهداء
 حلفنا بغرغرة الأبرياء
 بدمع اليتامى
 بنوح الثكالي
 بنذب الأيامى
 حلفنا بأفريقيا الغاضبة
 تدمدم كالرعد الصاعقة
 وتأتي على الذلة الخانقة
 تكون المبيدة والخالقة⁽³¹⁾ .

كما نجد الشاعر "محمد العربي صمادح" في قصيدته (الإعدام الجماعي) - وهي قصيدة طويلة جدا، مقسمة إلى عدة أقسام- يصور في القسم الرابع منها وحشية الجيش المستعمر في اقتحامه لأحد الأحياء، ورجالها غائبون في الجبال، فلم يلقوا أمامهم سوى النساء والأطفال، فعاثوا فيه فسادا؛ إذ يقول:
 وتقدموا من كل صوب يرعدون
 متأبطين سلاحهم يتساءلون
 أين الرجال ؟

ما من رجال
 إلا الطفولة والنساء والعاجزون
 أمضوا إلى قمم الجبال يقاتلون ؟
 أين السلاح ؟
 ما من سلاح
 فدوى الرصاص
 في الطفل في ذلك العقاص
 وتساقطوا مثل الذباب
 أشلاء ما بين الشعاب
 والجند في نزواتهم يتساقون
 مثل الذئاب فينبون ويغصبون
 ...

سكبوا الوقود - على المنازل - من قصب
 فإذا اللهب
 يأتي على الدنيا ويلتهم العباد
 ومزارع القمح الفسيحة والهائم والعتاد
 والصخر والأشجار والعشب المزركش والقتاد⁽³²⁾.

د. الشعر الليبي:

لقد سجل الشعراء الليبيون مؤازرتهم لأبطال الثورة التحريرية، فهذا "أحمد الفقيه حسن" يصور معارك المقاومة في قصائد كثيرة نذكر منها: (ذكرى الجزائر المناضلة)، و(الذكرى السادسة للثورة الجزائرية)، و(الذكرى السابعة للثورة الجزائرية)، فمن الأولى قوله:

حي الجزائريين أهل الضاد ** واذكر بطولة شعبها المنجاد
 شعب تطلع للعلا فتكللت ** بالنصر ثورته على الأوغاد⁽³³⁾.

ومن الثانية قوله:

عصر تداس به الحقوق وتمضم ** وسياسة الباغي به تتحكم
 فيه بدا نور الحضارة ** وبطيمها نار المظالم تضرم⁽³⁴⁾.

ومن الثالثة قوله:

ذكرى تحطم سطوة الجبار ** وبها يتم النصر للأحرار
 ذكرى تخلدها الجزائر لم تزل ** مثلاً لكل مجاهد مغوار⁽³⁵⁾.

خاتمة:

إن ما ذكر لا يعدو أن يكون مجرد غيض من فيض، مقارنة بما قيل عن الثورة الجزائرية المجيدة من طرف شعراء الجزائر والمغرب العربي، الذين تفاعلوا معها أيما تفاعل، وتأزروا مع شعبيها وتضامنوا معه بأشعارهم ذات الكم الهائل، وذلك بصرف النظر عن قيمة القصائد التي أبدعوها من حيث الجودة الشعرية؛ لأن الشعراء « في زمن المعاناة من المآسي الفردية والاجتماعية والوطنية في منأى عن الاعتناء باللغة والتزيين، والشكل الفني، وإنما همهم الفكرة المؤثرة، ولذا فهم يخاطبون المجتمع بما يحتاجه الشعب من المضامين»⁽³⁶⁾، ومهما يكن من أمر فإن الوحدة المغربية كانت حلما ولا زالت لمختلف شرائح المجتمع المغربي ليس فقط الشعراء منهم، وهذا بغض النظر عن التوجهات السياسية المختلفة لبلدان المغرب العربي؛ لأن أي محنة تصيب إحدى هذه البلدان، فإنها ستلقي بظلالها على البقية، على غرار الثورة الجزائرية المجيدة.

هوامش البحث:

1. مفدي زكريا، اللهب المقدس، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (موفم)، 2007، ص 53-54.
2. بن يطو عبد الرحمن، محاضرات في: قضايا النص الشعري الحديث والمعاصر السنة الثالثة (ل.م.د)، جامعة محمد بوضياف: المسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2015-2016م، ص 06.
3. محمد زكور، الأبعاد الحضارية للثورة التحريرية وأثرها في الشعر المغربي، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، العدد الرابع، 1423هـ/2003م، ص 288.
4. مفدي زكريا، اللهب المقدس، المرجع السابق، ص 100-101.
5. مفدي زكريا، اللهب المقدس، المرجع نفسه، ص 101.
6. مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (الجزائر، ديوان 1954 – 1962) دراسة موضوعية فنية، المطبوعات الجزائرية، 1998م، ص 219.
7. أحمد الفقيه حسن، ديوان أحمد الفقيه حسن (الحفيد)، ليبيا، طبع على نفقة وزارة الإعلام والثقافة الليبية بإشراف وتعليق الشاعر، الطبعة الأولى، 1385هـ/1966م، ص 62.
8. أحمد الفقيه حسن، ديوان أحمد الفقيه حسن (الحفيد)، المرجع نفسه، ص 62.
9. محمد زكور، الأبعاد الحضارية للثورة التحريرية وأثرها في الشعر المغربي، المرجع السابق، ص 288.
10. مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، الجزائر، المرجع السابق، ص 228.
11. مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، المرجع نفسه، ص 220.
12. مفدي زكريا، اللهب المقدس، المرجع السابق، ص 240.
13. بن يطو عبد الرحمن، محاضرات في: قضايا النص الشعري الحديث والمعاصر السنة الثالثة (ل.م.د)، جامعة محمد بوضياف: المسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2015-2016م، ص 11-12.
14. مصطفى بيطام، صدى الأوراس في شعر المغرب العربي الحديث، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، العدد، 10، جوان 2004م، ص 121.
15. مفدي زكريا، اللهب المقدس، المرجع السابق، ص 29.

16. مسعد بن عيد العطوي، باقات من شعر المغرب العربي: دراسة تحليلية لأبنيتها الجمالية والدلالية، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2015م، ص 196، 198.
17. محمد العيد محمد آل خليفة، ديوانه، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الثالثة، 1992م، ص 294.
18. أبو القاسم خمار، ظلال وأصداء، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د-ت، ص 98-99.
19. جليل كمال الدين، الشعر والثورة والحرية، من كتاب الشعر والثورة، (مختارات من الأبحاث المقدمة لمهرجان المرشد الثالث 1974م)، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الإعلام -1975م، ص 224-225.
20. مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، المرجع السابق، ص 223.
21. محمد الأخضر السائحي، همسات وصرخات، الجزائر، المطبوعات الوطنية الجزائرية، 1965، ص 17.
22. صالح خرفي، أنت بلادي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م، ص 12-13.
23. المجاهد الثقافي، العدد 9، 1969، ص 72.
24. عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م، ص 52/1-53.
25. " أبو كبور ": هو عنوان القصيدة التي نظمها الشاعر بتاريخ 13/12/1961م. انظر: مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي. هامش ص 85.
26. مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، المرجع السابق، ص 85.
27. مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، الجزائر، المرجع نفسه، ص 85.
28. ديوان حسين عبد الله القرسي، "نداء الدماء". طبعت الطبعة الإفرادية من هذا الديوان في مايو 1964، ص 215، وينظر أيضا: نورالدين السد، القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب، ص 23.
29. جريدة العمل التونسية: 04/01/1959، ص 09.
30. مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، المرجع السابق، ص 285.
31. أحمد اللغماني، قلب على شفقة، تونس، الدار التونسية للنشر، 1966م، ص 128-129.
32. مجلة " الندوة "، تونس، العدد 05، السنة 4، ماي 1956م، ص 52 - 53.
33. أحمد الفقيه حسن، ديوان أحمد الفقيه حسن (الحفيد)، المرجع السابق، ص 53.
34. أحمد الفقيه حسن، ديوان أحمد الفقيه حسن (الحفيد)، المرجع نفسه، ص 90.
35. أحمد الفقيه حسن، ديوان أحمد الفقيه حسن (الحفيد)، المرجع نفسه، ص 62.
36. مسعد بن عيد العطوي، باقات من شعر المغرب العربي: دراسة تحليلية لأبنيتها الجمالية والدلالية، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2015م، ص 186.